

الفصل العاشر

[عینان]

في صباح اليوم التالي، حملت فطوري وجلست قرب أدهم الذي كان يتناول فطوره بشيء من عدم الشهية استغربته.. فقلت وأنا أتناول فطوري بدوري "هل يستغرق منك اتخاذ قرار كل هذا الوقت؟ مرّ يومان وأنت صامت تماماً.."

قال دون أن ينظر لي "لست متأكداً بعد.. هذا قرار لا يمكن التراجع عنه متى ما تمّ.. وماذا عن بسمه؟ كيف نتخلّى عنها جميعاً ونتركها؟"

ابتسمت معلقة "لو كان قلقك بسبب بسمه فلا تحمل هماً.. ستذهب معنا، هي فقط تريد دفعة قوية لتستقر على رأي.. وانضمامك لنا هي الدفعة التي نريدها.."

نظر لي بعدم فهم، ففسرت قائلة "وجودك يطمئنها أنها تستطيع البقاء حتى بعد رحيلي وأمجد، لأنك تمثل لها الحماية الكافية من الآخرين.. أما إن قررت الرحيل، فهي حتماً ستلحق بنا ولن تبقى وحيدة هنا.. وهذا ما أراه أنا أنسب لها أيضاً.."

غمغم أدهم وهو يكمل فطوره "سأفكر بالأمر.. فهذا قرار كبير بالنسبة لي.."

أنهيت فطوري بسرعة وقلت وأنا أقف "سننتظرك.. فنحن لن ننفذ خطتنا قبل دراسة وافية ستستغرق وقتاً.."

بدا لي أدهم غارقاً في حيرته، وظننت أنه سيستغرق أياماً للاقتناع بالفكرة والانضمام إلينا.. لذلك كانت دهشتي كبيرة عندما انضم إلينا تلك الليلة في مسكن أمجد وقال فور دخوله "لقد قررت.. سأرحل معكم.."

ابتسمت أنا وأمجد بارتياح، بينما بانّت صدمة كبيرة على وجه بسمه التي انضمت إلينا تلك الليلة.. ثم أطرقت بقلق ظاهر وتردد كبير.. فتوجه لها أمجد بالحديث قائلاً "وماذا عنك يا بسمه؟ ألم تستقري على رأي بعد؟"

قالت بصوت منخفض "أنا خائفة.. الهرب بالنسبة لي مستحيل.. وعواقبه أفدح من أن أستطيع تحملها.."

فقلت لها "خذي وقتك للاستقرار على رأي.. لكن ليكن اختيارك ما لن تندمي عليه في المستقبل.."

صمتت عن التعليق وهي تخفض رأسها، فانصرفنا عنها للحديث عما يفترض بنا فعله في هذه المرحلة..

عندما تقدمت منا بسمة، حيث جلسنا في زاويتنا المعتادة، بخطوات ملؤها العزيمة بعد يوم، علت الدهشة وجهي الرجلين بقرارها الذي أعلنته بالهرب معنا.. بينما علت ابتسامة شفتي وأنا أقول "مرحى.. لم تخيبي توقعاتي البتة.."

علق أمجد بعدي "أرجو ألا تترددي في قرارك هذا يا بسمة.. وكلنا سنكون معك..".
لم يظهر على وجهها أي تردد فيما علت صوتها رجفة خفيفة وهي تقول "أنا خرقاء، مترددة، وأكاد أقفز ذعراً من ظلي.. فهل تعدونني أنكم لن تتركوني أسقط في أيديهم؟ أنهم لن يعذبوني ولن يسجنوني من جديد؟"

ضحكت على الصفات التي أطلقتها على نفسها بينما قال أمجد "قطعاً لن نفعل ذلك..".
أضاف أدهم "ما دمنا على قيد الحياة.."

ضربته على كتفه ليصمت عن هذا التشاؤم ولا يثير فزعها أكثر من ذلك.. فصمت بينما تقدمت بسمة وجلست قربي دون أن تعلق على ما قيل.. فسألتها "ما الذي شدّ عزيمتك بهذه الصورة في هذا اليوم؟"

قالت مطرقة "طوال اليومين الماضيين، كنت أتخيل كل الأماكن التي أقضي فيها وقتي كيف ستكون بدونكم.. بدت الحياة بائسة بالنسبة لي ولم أطق البقاء وحيدة.."

ثم نظرت لي مغمغمة "أدرك أنه عذر تافه للهرب.. لكنني مقتنعة به ولن أبق دقيقة واحدة بعدكم هنا" ابتسمت وربت على كتفها معلقة "ليس تافهاً أبداً.."

سمعت أدهم يقول "إذن.. أخبرينا يا حمراء بكل ما تعرفيه من تجربتك السابقة.. يجب ألا نكرر الأخطاء ذاتها مرة أخرى"

فقلت بسرعة "لقد أخبرت أمجد بكل شيء.. وهو قد استخلص من حديثي ما سيفيدنا في هربنا..".
قال أدهم بحزم "أريد أن أسمعته بنفسه من جديد.."

قلت بحنق "لماذا تصرّ على إعادةتنا لنقطة البدء من جديد؟"

فقال أمجد "لا أرى مانعاً من إعادة الحديث.. فقد نجد فيه نقاطاً جديدة تفيدنا.."

زفرت بشيء من الضيق، ثم تجاوزت الأمر وأنا أقول بجدية "سأخبركم بما أعرفه للمرة الأخيرة فانتبهوا لي.. علينا التخطيط بحذر لهذه المهمة.. لا أريد أن نفشل هذه المرة أيضاً في..."

وجدت أدهم يلكنني بخفة في ذراعي، لكن يبدو أنه لا يقدر قوته بشكل صحيح إذ جاءت الضربة مؤلمة،

وأنا متأكدة أنها ستخلف كدمة بعد يوم.. نظرت له مقطبة وأنا أقول بحدة "ما بك؟"
 أشار بعينه بصمت لما أمامه، فالتفت أنظر لما يراه بدهشة.. عندما اصطدمت عيناى بعينان سوداوان
 حادثان تراقبنا عن بعد.. ولما رأنا صاحب العينان ننظر له كلنا بصمت، تحرك من موقعه قرب أحد
 المساكن التي لا تبعد عنا كثيراً ليقترّب منا وشبح ابتسامة ترسم على شفتيه..
 كان رجلاً متوسط العمر، لا يبدو أكبر من أدهم، وهو أكبرنا، بكثير.. عاديّ في كل شيء.. في ملامحه
 وفي طوله وفي سمرة وكل شيء آخر.. الشيء الوحيد الملفت فيه هو عيناه السوداوان الحادثان جداً..
 ولم تكونا تبعثان في نفسي الراحة لسبب لا أدركه..

لما وصل قربنا قال بصوت عادي غير ملفت ككل شيء فيه، إنما بلغة عربية واضحة "مرحباً.. لطالما
 راقبت اجتماعاتكم الليلية وودت الانضمام إليكم.. فهل تسمحون لي بذلك الليلة واحدة فقط؟"
 خفضت بسمة رأسها على الفور والتوتر يغزوها، بينما صمت أنا وأدهم ووجهنا يحملان عدم ترحيب
 واضح.. أما أمجد فقد قال بأريحية "طبعاً يمكنك ذلك.. ويسعدنا التعرف على أي عربي في المسكن..
 قال الرجل وهو يجلس بين أمجد وأدهم "هم قلة هنا.. والآخرين عدائيون نوعاً ما.. لذلك أقضي أيامي
 وحيداً دون صحبة.. وهذا ممل جداً.."

استغرق أمجد في حوار عادي مع الرجل بينما تبادلنا نحن الثلاثة النظرات الصامتة.. قرأت في عيني
 أدهم ما وافق ملاحظاتي بشدة، ثم عدت ببصري للرجل الذي كان يلقي علينا نظرات حادة بين فينة
 وأخرى وكأنه يقرأ أفكارنا بدقة.. لكنني تجنبت الدخول في أي حوار معه وظللت صامتة طوال فترة
 جلوسه وهي قد طالت حقاً..

وبعد وقت طويل وثقيل، استأذننا وغادر بحجة التعب والرغبة في النوم مبكراً.. وما إن غادر حتى زفرت
 مغمغمة "يا إلهي.. وجوده ثقيل جداً.. كأنه كان يجثم على أنفاسي"

قال أمجد مقطباً "لماذا تصفينه بهذا الشكل؟ إنه رجل طيب ويرغب ببعض الصحبة فقط"
 علق أدهم قائلاً "ربما نظراته المحدقة التي تشعر معها بأنه يحصي أنفاسك هي ما تجعله ثقيلاً.. وهذا
 ليس تحاملاً من حمراء فأنا أشاركها الرأي.."

بدا في عيني بسمة موافقة شديدة لما قيل، بينما قال أمجد بعدم تصديق "ما بالكم متحاملون على
 الرجل وأنتم لم تعرفوه إلا لمدة قصيرة جداً؟ ثم إن ثقل الدم ليست جريمة لو كنتم مدركون ذلك..
 قلت هازة كتفي "ستبين الأيام لنا أمره دون استعجال"

أضاف أدهم "أرجو فقط أن تتحفظوا في الحديث عن الهرب في وجوده حتى لو كان على مبعده منا..
 شعرت به منصتاً لكل كلمة قلناها عندما كان يراقبنا من بعد.. ولا يمكن أن نثق به بسرعة دون اختبار
 خصوصاً في أمر حساس كهذا.."

وافقناه جميعاً على ما قال، وسرعان ما تفرقنا وكل منا يعود لمسكنه.. فقد استهلك ذلك الرجل الذي لا نعرف له اسماً كل الوقت الذي نملكه كل ليلة مع عدم قدرتنا على السهر، والعمل في المنجم ينتظرنا مع بداية كل نهار..

عدت من المنجم بخطئٍ مثقلة لمسكني بعد عودة الآخرين بساعة على الأقل وقد شعرت بعظامي مضغضة ومفاصلي مفككة.. لقد لاحظت منذ فترة أنهم كانوا يضاعفون عملي وكأنه نوع جديد من العقاب على تجرؤي مخالفة الأوامر والهرب..

كنت الآن أملك أسوأ مزاج ممكن ولم أرغب بمجاملة أي شخص مع التعب الذي أشعر به.. وقطعاً لم أكن أتمنى رؤية تلك العينان اللتان تنتظرانني بحدة لا يمكن إخطاؤها.. حاولت تجاوز ذلك الرجل الذي وقف في طريقي بصمت وأنا أدعو الله أن يتجاهلني كما أتجاهل وجوده.. لكنه سرعان ما حدثني فور اقترابي منه قائلاً "مرحباً.. يبدو أنهم يزدون جرعة الأعمال الشاقة بالنسبة لك كما لاحظت في المنجم.. أهذا بسبب محاولتك السابقة للهرب؟"

زفرت بضيق شديد، ثم التفت إليه قائلة بسخرية "أجل.. هل أدركت ذلك بمفردك؟" ارتسمت ابتسامة مبهمة على شفتيه.. وكأنه يسخر من سخريتي التي تعمدت أن تكون واضحة.. ثم قال دون أن يعبأ بسخريتي أو بالرد عليها "تبدین غير مرحبة لوجودي البتة.."

قلت ببرود "ظننت هذا واضحاً على وجهي.. كيف فانتك قراءته البارحة؟"

قال مستفهماً "لماذا؟ هل تكرهيني لسبب ما؟"

قلت ملوحة بيدي وأنا أكمل طريقي لأنهي الحوار الذي لم يعجبني البتة "قطعاً لا.. اسمح لي بالرحيل فأنا متعبة تماماً"

سمعتة يقول من خلفي "ألن تجتمعي مع رفاقك الليلة؟ ظننتكم لا تتكاسلون عن ذلك كل ليلة وأنتم تخططون لهربكم من المساكن"

تجمدت واقفة وأنا أبهت لما سمعتة.. والتفتُ إليه مضيقاً عيني وأنا أنظر لابتسامته الجانبية.. ثم قلت "ماذا تقصد بهذا؟"

قال وابتسامته تتسع "لقد سمعتكم تتحدثون عن ذلك بوضوح منذ ليالٍ.. فلا داعي للمداراة"

قلت له مقطبة "وماذا تريد منا إذا؟ أنا متأكدة أن تقربك منا الآن بعد أن تجاهلتنا طوال الأسابيع الماضية هو لسبب مهم"

قال الرجل بثقة "طبعاً.."
ومال تجاهي قائلاً بعينين تلتمعان "أن أهرب معكم، لا جدال في ذلك.."

الصدمة التي ارتسمت على وجوه البقية عندما كرر الرجل مطلبه أمامهم لم تكن أقل من التي علت وجهي عندما سمعت ذلك للمرة الأولى في بداية تلك الليلة.. ثم قال أدهم بسخرية "أنت مجنون.. من تكون لتفرض علينا انضمامك لنا؟"
ضحك الرجل ناثراً عدم الراحة بيننا بشكل ملفت، وقال بعدها بهدوء "أستغرب أن يوجد شخص بهذا الغباء في هذا العصر.."

صاح أدهم بحنق "ماذا قلت؟"
أكمل الرجل بسخرية غير عابية بغضب أدهم "أظننتم حقاً أنني سأقبل اعتذاركم بكل أسف وأدعو لكم بالتوفيق ثم أغادر بظهر محني حزناً؟ لو كنتم أكثر ذكاءً لحرصتم على إخفاء خططكم تلك بشكل أفضل"

قال أمجد مقطباً "ماذا تعني؟"
أجاب الرجل "إما أن تشركوني في خطتكم دون خداع أو اذهب من فوري لإبلاغ قائد الحرس بما تنتوونه.. وأعتقد أن بهرب هذه الفتاة...."
وأشار إليّ برأسه مكماً "فإن الإدارة ستتعامل مع أي محاولة أخرى بعنف.. خاصة إن كانت الفتاة مع المجموعة التي تنوي الهرب.. فهم ليسوا بحاجة لتدمير سمعتهم لدى الإدارة الرئيسية أكثر من هذا.."

قال أدهم رافعاً قبضته "الحل الوحيد هو ضربة قوية تخرسك للأبد.. ما رأيك..؟"
نظر الرجل بهدوء لقبضة أدهم الصلبة، ثم قال بثقة "لن تجرؤ...."
لم يكد يتم كلمته حتى ارتطمت قبضة أدهم بفكه بقوة شديدة ألقتة أمتاراً للوراء وسط شهقة بسمة ونحن ننظر للجسد الملقى بصدمة مما جرى، بينما هتف أمجد وهو يقف "تباً لك يا أدهم.. لم فعلت ذلك؟"

كانت ابتسامة سخرية ترتسم على وجه أدهم دون أن يتحرك من موقعه.. يبدو أن تلك الضربة كانت من أشد الأعمال إمتاعاً بالنسبة لهذا الرجل العنيف.. أما أمجد فقد اتجه من فوره للرجل الذي اعتدل جالساً يتأوه وهو يمسح خيطاً من الدماء سال من فمه.. فبصق الدماء جانباً قبل أن ينظر لأدهم بحقد

وغضب شديد.. ثم وقف بينما أمجد يطمئن عليه ويعتذر منه بتكرار.. لكن الرجل دفعه جانباً وتقدم من أدهم وهو يقول "إن ظننت أنك أخفنتني واستطعت إسكاتي فأنت واهم.. مثل هذه الضربات لا تهمني، وأنت لا يمكنك أن تؤذيني فهذه ليست طباعك ولن تسلم من العقاب إن حاولت.."

لم يعقب أدهم بكلمة بينما التفت الرجل إلى أمجد قائلاً "غداً مساءً في مثل هذا الوقت، إن لم تصلني موافقتكم على انضمامي لكم فستجدونني متجهاً إلى الإدارة بكل ما أحمله من معلومات.. وهي ليست قليلة لو ظننتم ذلك.."

ثم التفت إلى أدهم مجدداً مضيفاً "ولن أقبل دعوتكم تلك إلا إن كانت مصحوبة باعتذار شديد من هذا الرجل العنيف.."

لم يعلق أحداً بكلمة بينما استدار الرجل مبتعداً عنا وهو يمسح فكه بيده.. عندها قال أمجد بلهجة جافة "رائع جداً يا أدهم.. عمل مثمر حقاً.."

وغادر بدوره مما أظهر لي غضبه الشديد مما جرى، فقلت لأدهم الذي لم يظهر اهتماماً "هل أنت سعيد؟"

قال أدهم وابتسامة تملأ شفثيه "على الأقل شفثيت غليلي منه.. ألم يكن يستحق ذلك؟"

ضحكت بقوة وتعجبي يزداد من هذا الرجل، فقالت بسملة بضيق "لم تضحكين؟ هل أعجبك شيء مما دار الليلة؟"

قلت بابتسامة "لا تنكري أن تلك الضربة قد أزالَت شيئاً من الضيق الذي اعتمر نفوسنا بوجود ذلك الرجل.. خاصة مع الثقة المغرورة التي أبدأها الليلة.."

نظرت لنا بسملة بتعجب مذهول، ثم ابتعدت عنا بدورها عائدة لمسكنها.. فبقيت مع أدهم نتبادل النظرات بصمت، ثم اعتدلت قائلة بابتسامة صغيرة "ألن تكف عن إفزاع الفتاة كل مرة؟ بكل ذلك العنف والشراسة وكل الانفعالية التي تظهرها بدون مناسبة.."

لوح أدهم بيده معلقاً "كان عليها التعود على ذلك بعد كل هذا الوقت الذي قضيناه معاً.."

ثم أضاف "لا تنكري أنك كنت تودين رمي تلك اللكمة بنفسك على ذلك البغيض.."

قلت ضاحكة "لو فعلت لقتلني أمجد.. لطالما تذر من لجوئي للعنف وعدم أخذي بالاعتبار كوني فتاة.."

علق أدهم وهو يقف "ليس المهم أن تعتبري نفسك فتاة أم لا.. المهم أن تفعلي ما تريدينه وتقتنعي بما تفعلينه.. كل ما عدا ذلك فهراء.."

غمغمت "من الغريب أن تصدر هذه الحكم من شخص مثلك.."

قال قبل أن يبتعد "وماذا كنت تظنينني؟ لست أحمقاً بالتأكيد.."

بقيت وحيدة وقد انطفأت الأنوار وعم الظلام المكان حولي مع غياب كل السجناء في مساكنهم.. وظللت

أفكر في جملة أدهم التي وصفت ما أعتنقه من أفكار رغم اعتراض البقية عليها دائماً.. وبين أفكارى المنسابة بهدوء، شعرت بومضة جديدة تطرق ذهني بقوة.. رغم الآلام التي تنتابني لدى قدوم تلك الومضات، إلا أنني كنت أترقبها بكل لهفة بانتظار أن تكشف شيئاً ما من حياتي.. كنت أشعر بها كمقدمة لعودة ذاكرتي لي.. وهذا كان يسعدني وبشدة..

عبثت بخصلات شعري الطويل الناعم بلونه الذي أحبه بعدم صبر قبل أن أزيحها لتسدل على ظهري وأنا أزفر واضرب قدمي بالأرض في قلق وتوتر..

ثم نظرت للفتاة التي تجلس أمامي والتي تقاربني في العمر، وسألتها بشيء من الضيق "قولي ما تريدينه وأوجزي.. إنني في عجلة من أمري"

نظرت الفتاة لي بتعجب قائلة "ما بك؟ إنك نافذة الصبر رغم أنك لم تجلسي معي إلا منذ لحظات.. ما الذي يجعلك بعجلة هكذا؟"

قلت بسرعة "لديّ موعد مع خطيبي.. سيكون هنا بعد قليل، ولا أريده أن ينتظر"

عقدت الفتاة حاجبها قائلة "وما يضيره لو انتظر قليلاً؟"

قلت بحدة "أأنت مجنونة؟ سيتسبب هذا في ضيقه مني.. وأنا لا يمكن أن أسعى لما يضايقه"

ازداد تعجب الفتاة مني وهي تقول "ما بك يا فتاة.. لم تتصرفين هكذا إزاءه؟"

هزرت كتفيّ مجيبة "من الطبيعي أن أفعل كل ما يحبه وأحرص عليه.."

نظرت لي الفتاة بنظرة مطولة قبل أن تقول "لقد تغيرت كثيراً في الآونة الأخيرة.. تغيرت بشكل غير معقول.. فما الذي جرى لك؟"

قلت بتبرم "لا يهمني ما تقولونه.. المهم أنه يحبني ويحب ما يراني عليه.."

قالت مقطبة "لو كان يحبك لما طلب منك التغيير.. انظري لنفسك.. وكأنك ترتدين لباساً تنكرياً يظهر كفتاة أخرى.. لماذا تنقادين له بهذا الشكل؟ ما الذي ستجنيه من كل هذا؟"

قلت بحدة "أنتم تغارون مني لأن خطيبي وسيم ورائع في كل شيء.."

ضحكت الفتاة معلقة "حقاً؟ وهل هذا ما يهم في الرجل؟ أنت لم تهتمي بصفاته بل اهتممت بشكله.. لا عجب أن تلهثي خلفه محاولة إرضاءه"

قلت بعصبية وقد ساءني حديثها "رجاءً لا ترمي تعليقاتك الجارحة هنا.. لا أريد له أن يصل ويسمع تفاهاتك هذه.."

سمعت صوتاً خلفي يقول "أسمع ماذا؟"
فاستدردت بكل لهفة الدنيا وأنا أرسم أروع ابتسامة على شفتيّ قائلة "مرحباً بك حبيبي.. لقد كنت
أنتظرك...."

فتحت عينيّ متأملة الظلام الدامس والسكون من حولي.. ثم بصمت وتثاقل نهضت متجهة لمسكني وقد
تضاعف ما أحس به من آلام في جسدي.. لكنني تساءلت بدهشة عن معنى أو أهمية مثل تلك
الذكريات التي تراءت لي.. هل كانت جملة أدهم التي رسخت في عقلي هي ما دفع مثل تلك الذكرى
للسطح؟ لقد بدا أنني كنت أتبنى عكس تلك الفكرة تماماً.. إذ يبدو أنني كنت أندفع لإرضاء ذلك
الرجل مهما كان ذلك مغايراً لشخصيتي كما فهمت من حديث الفتاة.. لقد كانت تصرفاتي في منتهى
الحماقة والغباء كما أرى، لكنني كنت مقتنعة بها تماماً وأرفض من يحاول نصحي..
لم أر وجهه أبداً، وهذا ما تعجبت له.. مع كل ذلك الهوس الذي كنت أشعر به تجاهه من المفترض ألا
أنسى وجهه أبداً.. لكنني لم أره ولا أذكر اسمه حتى.. ألهذا سبب ما؟..
تلمست خصلات شعري وأنا مستلقية على سريري متذكرة طوله في تلك الذكرى.. الآن هو قصير جداً
ويبدو بغير عناية بأطراف مقصوصة بإهمال.. هل أنا من قام بقصه أم حصل هذا لدى دخولي
السجن؟.. حاولت التذكر قليلاً، عندما لمع في ذهني ذلك المنظر في الغرفة المظلمة.. لقد كنت وقتها
قصيرة الشعر.. معنى ذلك أنني قمت بقصه قبل دخولي السجن.. فما السبب؟..
تنهدت وأنا اتقلب في سريري.. لا أهمية لمنظري قبل فقدانني ذاكرتي ولا يجب أن أشغل تفكيري بهذه
الأفكار الغريبة في مثل هذا الوقت الحاسم..

عندما التقيت أمجد في اليوم التالي، بدا أنه لا يزال عكر المزاج بعد أحداث البارحة، وقد سألني فور
اقترابي منه "ما رأيك يا حمراء؟ هل نشركه في مخططاتنا أم نجازف بوصول أخبارنا للإدارة وما قد
يتبعها من عقاب وتشديد أمني؟ لقد أنهكت عقلي وأنا أفكر وكلا الحلين كما أرى عسير.."
وقبل أن أجيبه سارع ليقول "ولا أريد أي تحيزات غير عقلانية"
فقلت مبتسمة "لا أستطيع أن أكون حيادية البتة.. ذلك الرجل وغد منذ البداية ولا يعبأ بنا.. فبم

سنستفيد من قدومه كما تعتقد؟ بل أنا أرى أنه قد يلجأ للتخلي عنا أو خيانتنا لدى أقل خطر.. فهل أنت مستعد لمثل هذه المخاطرة؟"

غمغم أمجد "لكن.. ما الحل الذي نستطيع اتخاذه لتجنب وشايته؟"

تلقتُ حولي أتناكد من عدم وجود الرجل قربنا فقد غدا بالنسبة لنا كالجاسوس الخفي قد نجده في أي وقت وأي مكان، ثم قلت بصوت خفيض "فلننظر بالموافقة على انضمامه.. ولنقم بمخططاتنا كالعادة دون أن نزوده بالوقت الحقيقي لهروبنا.. كما يجب أن نحذر من إخباره بطريقة تغلبنا على السوار أو أي معلومة مهمة أخرى.."

بدا التفكير على وجه أمجد وهو يزن الأمور في عقله، فأضفت "لنجعله يعتقد أنه معنا في كل خطوة.. حتى يفاجأ باختفائنا كالبقية.. عندها لن تضرنا وشايته أبداً.."

قال أمجد "هذا ما يجب أن نفعله.. أخبري بسمة بذلك وأنا سأتولى أمر ذلك العنيف.."

ابتسمت وأنا أرى غضبه النادر منصباً على أدهم، وقلت "لا تنسى الاعتذار.."

نظر لابتسامتي وعلق بضيق "تبددين مستمتعة بما يجري.."

قلت هازة كتفي "أتشوق لرؤية ما سيفعله أدهم للاعتذار من ذلك الرجل.. ستكون تلك لحظة أسطورية.."

زفر أمجد وهو يصمت تماماً.. أشفق عليه حقاً فأمامه أوقات عصيبة ليقنع أدهم بالتنازل والاعتذار.. تلك الليلة، وبعد ملاحظة طويلة، تركنا أدهم حيث اجتمعنا كالعادة واتجه للرجل الذي كان جالساً أمام مسكنه يتظاهر بتجاهلنا تماماً.. وعندما سقط ظل أدهم الضخم عليه، رفع بصره بهدوء ونظر إليه وابتسامة سخرية ترسم على شفثيه.. من موقعي هذا بدا أدهم يكاد يحرقه بنظراته الحادة والتي طال، ثم قال بجفاف ملحوظ "لقد وافقنا على انضمامك لنا.. لكن لو كنت تنتظر اعتذاراً مني فستجد لكمة أخرى ترتطم بوجهك.. فهذه هي طريقتي الوحيدة للاعتذار.."

ضحكت ملء فمي لقوله بينما دمدم أمجد بحق "ليس هذا ما اتفقنا عليه.. هذا الأحمق.."

قلت بابتسامة "متى تياس يا أمجد؟.."

زفر أمجد محتداً، ورأينا أدهم يعود لنا دون انتظار رد من الرجل الذي حرق في ظهر أدهم بغيظ

شديد.. لكن يبدو أنه استسلم ويئس من حصوله على اعتذار مناسب إذ نهض بصمت وتقدم منا

ليجلس جانباً.. فسأله أمجد "نحن لم نتعرف بشكل لائق من قبل.. أنا أمجد.."

وأخذ يعرفه على أسمائنا واحداً تلو الآخر، ثم توجه إليه بالسؤال "وأنت.. ما اسمك؟"

فرك الرجل رقبته مغمماً "لم أفكر قط باتخاذ اسم لي فلا أملك من يمكن أن يناديني به.. لكن.."

صمت للحظات قليلة، ثم نظر إلينا قائلاً "نادوني صقر.. اسم موحٍ.. أليس كذلك؟"

وانفجر ضاحكاً بطريقة جعلت ملامح وجهي تنقبض باستياء.. أيعني باسمه الغريب هذا أنه سيظل يراقبنا بعينه الحادة كالصقر؟.. هذا الرجل يقطر بغضاً، وهو يدرك ذلك تماماً ويستمتع به.. سمعت أدهم يقول "يا إلهي.. يبدو أن الكوابيس ستراودني الليلة لكل هذا الضجيج المزعج.."

فقال صقر بسخرية "حقاً؟ يسعدني أنك لن تهناً بنومك الليلة.."

بدا أن الإثنان على وشك قضم رقاب بعض، مما دفع أمجد ليقول بصوت أعلى من المعتاد "هل نترك كل هذا جانباً ونبدأ في المهم؟ لا نملك الكثير من الوقت قبل أن يحين موعد نومنا.. وقد أضعنا ما يكفي منه.."

التفت صقر إليه قائلاً باهتمام "ما هي الخطة التي وضعتها للهروب؟ أنا أقدم منكم على هذا الكويكب وقد رأيت الكثير من المحاولات الفاشلة.. لذلك يمكنني معرفة الخطة الناجحة من الفاشلة على الفور.."

ابتدأ أمجد يشرح له خطتنا التي لم تكتمل بعد، ولاحظنا أنه قد غير الكثير من تفاصيلها أمام صقر حتى بدت بعيدة كل البعد عن خطتنا الأصلية.. وكلما سأل صقر عن الكيفية التي ينوي بها التخلص من الأساور، كان أمجد يراوغ بالإجابة مردداً "لندع هذا لوقته.. هناك طريقة حتماً.."

نحن الثلاثة لم نتدخل في الحوار.. وبعد برهة نهض أدهم فجأة قائلاً "أراكم غداً.. الليلة مملة جداً تكاد تصيبني بالاكئاب ولا أعلم لماذا.."

وغادرنا وأنا أكتم ضحكتي.. يصرّ أدهم على إشعار صقر أنه غير مرحب به بأسوأ الطرق الممكنة.. ولا ألومه على ذلك.. بينما التفت صقر إلى أمجد قائلاً بضيق "ألا تستطيع استبعاد هذا العنيف من خطتك للهروب هذه؟ إنه يستحق البقاء هنا وقضاء حياته في هذا الجحيم.."

قال أمجد بدون انفعال "لو كنت تكره وجوده يمكنك أنت أن تنسحب، أما أدهم فهو أول من سيهرب منا.."

كان رفض أمجد صريحاً بشكل زاد الضيق على وجه صقر وسرعان ما غادرت أنا وبسمة تاركين أمجد بمفرده يجيب أسئلة صقر اللحوحة.. إنني أرثى لحال أمجد في اليومين اللذين مضيا..
